دراسة

حرب غزة والنفوذ الأمريكي في الشرق الأوسط

13 فبراير 2024م

د. محمود حمدي أبو القاسم

مدير تحرير مجلة الدراسات الإيرانية

RASANAH
المعهد الدولي للدراسات الإيرانية
International Institute for Iranian Studies

ⓒ رصانة - المعهد الدولي للدراسات الإيرانية ، 1445هـ

القاسم ، د. محمود حمدي أبو
حرب غزة والنفوذ الأمريكي في الشرق الأوسط. / د. محمود حمدي أبو القاسم .- الرياض ، 1445هـ

..ص ؛ ..سم

رقم الإيداع: 1445/17112
ردمك: 978-603-92145-2-6

مقدمة

قبل عملية طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر 2023م، كان التقييم الأمريكي للأوضاع في الشرق الأوسط أنَّها تسير باتجّاه موات للمصالح الأمريكية، حتى أنَّ جو بايدن عندما شرع في رحلته الأولى إلى المنطقة كرئيس في 2022م، أشاد بحقيقة أنَّها المرة الأولى منذ هجمات 11 سبتمبر 2001م، التي يزور فيها زعيم أمريكي المنطقة دون مشاركة القوّات الأمريكية في مهام قتالية. وهذا ما أكّده أيضًا مستشار الأمن القومي الأمريكي جاك سوليفان، قبل أيام قليلة من «طوفان الأقصى»، بقوله إنَّ الشرق الأوسط أصبح أكثر هدوءًا اليوم ممّا كان عليه منذ عقدين من الزمن، وأشاد بقُدرة الولايات المتحدة على التركيز على الأولويات الإستراتيجية خارج الشرق الأوسط.

تكمُن الإشكالية في أنَّه بينما كانت تتّخذ واشنطن خطوات عملية لاستعادة النفوذ، من خلالِ جهد دبلوماسي ومحفِّزات اقتصادية وترتيبات أمنية، حيث تركز جهدها لمواجهة التحدِّيات في بيئات

إقليمية أخرى، إذ بها تجد نفسها مضطرَّةً للعودة والانخراط ومتابعة مزيد من المهام القتاليةَ في المنطقة، في ظل تحدِّيات غير مسبوقة، ليس على صعيد علاقاتها بخصومها الإقليميين كإيران ووكلائها، أو منافستها للقُوى الكُبرى في المنطقة كالصين وروسيا وحسب، لكن أيضًا على صعيد علاقاتها بحلفائها الإقليميين، الذين اختلفت وجهات نظرهم تجاه الأحداث عن وجهات نظر الولايات المتحدة، ورأوا أنَّ سياسة واشنطن أعادت الصراع والفوضى من جديد للمنطقة، وعطَّلت مشروع الاستقرار، الذي كانت تقوده القُوى الرئيسية الفاعلة في المنطقة، وفي مقدِّمتهم المملكة العربية السعودية.

هكذا أعادت عملية طوفان الأقصى، التي عُدَّت بمثابة زلزال إستراتيجي ضربَ المنطقة، الجدلَ بشأن علاقة الولايات المتحدة بمنطقة الشرق الأوسط. وضمن هذا النقاش، طُرحت أسئلة جوهرية جديرة بالنقاش، أهمّ هذه الأسئلة: ما هي انعكاسات «طوفان الأقصى» وما تبعها من تطوُّرات على النفوذ الأمريكي في المنطقة ومتابعتها لإستراتيجيتها في المنطقة؟ ويتفرَّع من هذا السؤال المركزي عدد من الأسئلة الفرعية، وهي ثلاثة: الأول، ما هي طبيعة علاقة الولايات المتحدة بالمنطقة قبل «طوفان الأقصى»؟ والثاني: ما هي ردود الفعل الأمريكية على «طوفان الأقصى» وحرب غزة، وما هي أهدافها ودوافعها؟ وأخيرًا، إلى أيّ مدى نجحت الولايات المتحدة في تحقيق ومتابعة سياساتها، وما هي النتائج والتداعيات التي ترتَّبت على السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط؟

ستحاول هذه الدراسة أن تجيب عن هذه التساؤلات من منظور واقعي، باعتبار أنَّ الولايات المتحدة انخرطت، في صراع إقليمي واسع النطاق لتأكيد تفوُّقها، واستخدمت أدوات مختلفة أبرزها القوَّة العسكرية لحماية أمنها، والحيلولة دون حدوث تغيُّر في ميزان القُوى،

الذي من شـأنه إذا حدث أن يهدِّد الوضع القائم. وفي هذا السـياق، سـتعتمد الدراسـة علـى المنهج الاسـتقرائي، الذي يركـز على جمع البيانـات والعلاقـات المترابطة بطريقة دقيقة؛ مـن أجل الربط بينها والخروج بنتائج كلِّية. وهو كغيره من المناهج العلمية يحدِّد الإشـكالية أو الظاهـرة محل البحـث؛ من أجل متابعة تفاصيلهـا، والتعرُّف إلى مسـبِّباتها، مـن ثمَّ الانتقال من الأمور الجزئية إلـى الأمور الكلِّية، أو بمعنـى آخر، مـن المفهوم الخاص إلـى العام. وفي إطـار هذا المنهج، يمكن الاسـتعانة بدراسة الحالة كأداة لاسـتقراء انعكاسات «طوفان الأقصى» وحرب غزة على النفوذ الأمريكي في الشرق الأوسط، وعلى مكانتها الدولية.

أولاً: الواقع والسياسة الأمريكية ما قبل «طوفان الأقصى»

ظلَّ الشـرق الأوسـط منذ حرب تحرير الكويت عام 1990م في قلب الاهتمـام الأمريكي، لكن شـكَّل فـك ارتباط الولايـات المتحدة بهذه المنطقـة، جزءًا من إسـتراتيجية محسـوبة منذ ولايـة الرئيس باراك أوباما لتحويل تركيز واشنطن نحو تنافسها المتصاعد مع الصين، وقد أحيـت هذه السياسـة المنظور الأمريكي للمنطقة قبـل عام 1990م، والـذي جمَعَ بين الحد الأدنى من الوجود العسـكري، والاعتماد على الحلفاء الإقليميين للحفاظ على الاسـتقرار. وعلى الرغم من أنَّ هذا لم يتحقَّق لأنَّ الشـرق الأوسط فرَضَ نفسـه على الأجندة الأمريكية خلال فترتي أوباما وترامب، غير أنَّ إدارة الرئيس بايدن كانت تفخر حتى وقت قريب، بأنَّ مشـكلات الشرق الأوسط لم تثنها عن التحوُّل نحو الشـرق الأدنى، مع ذلك كانت عواقب هذه السياسة وخيمة على واشـنطن والمنطقـة، فقد أدَّى تراجُـع مظلَّة الحمايـة الأمريكية إلى تعرُّض النفوذ الأمريكي لتحدِّيات رئيسية، أبرزها:

1. تصاعُد نفوذ إيران واقترابها من العتبة النووية:

أتــاح تراجُــع الاهتمام الأمريكي بالمنطقة الفُرصــة لإيران لمدّ نفوذها الإقليمي، وتعزيز تواجدها على مشارف الممرّات البحرية الإستراتيجية، وتشــجَّعت على شــن مزيد من الهجمات غير المباشــرة ضدّ الأصول والقواعــد الأمريكيــة في المنطقــة. وبينما كانت سياســة إدارة بايدن الرئيســية عنــد دخوله البيــت الأبيض هي إحياء الاتفــاق النووي مع إيــران لاحتواء طموح إيران النووي. لكــن مع تعثُّر المفاوضات، عزَّزت إيــران مــن قُدراتها على تخصيب اليورانيوم بنســبة 60%، وأصبحت قريبة من تخطّي العتبة النووية، ليس هذا وحسب؛ إنها أظهرت مزيدًا مــن التحدِّي للولايــات المتحدة، من خلال دعمها لروســيا في حربها على أوكرانيا، وتعزيز تحالفها مع الصين وفنزويلا وكوريا الشــمالية، ضمن سياســة ممنهجة لبناء تحالُف مناهض للهيمنة الأمريكية على الساحة الدولية.

2. توتُّر العلاقات مع بعض الحلفاء التقليديين:

شــعَرَ شُركاء واشنطن بالإحباط؛ بسبب الاستجابة الأمريكية الباهتة للاضطرابــات وتجاهُل مصالحهم، ومن ثمَّ دفعت سياســة واشــنطن بحلفائها التقليديين إلى تبنِّي سياســة أكثر اســتقلالاً عن واشــنطن، وشرعت هذه الدول في تنويع شراكاتها الإستراتيجية. وبمرور الوقت، تزايــدت الثقــة بالنفس لدى الدول الرئيســية في الشــرق الأوســط وقادتهــا، وإدراكهــم أنَّ الولايات المتحدة لم تعُــد راغبة أو قادرة على حل مشــاكلهم بالنيابة عنهم، وأنَّ عليهــم أن يأخذوا الأمور الإقليمية بأيديهــم. وكان هذا مقدِّمةً للاتفاق الســعودي-الإيراني، وإعادة دمْج سوريا في منظومة العمل العربي، وعكست هذه التحوُّلات تغييرًا حادًّا في نهْج القُوى الإقليمية وفي مقدِّمتها السعودية، حيث انحرفت بقوَّة نحــو التفاوض وخفْــض التصعيد كبديل للمواجهــة، وإثر ذلك توقَّف

التنسيق رفيع المستوى بين السعودية والولايات المتحدة بشأن إيران، وتابعت سياساتها النفطية الأكثر ارتباطًا بمصلحتها الوطنية، بعيدًا عن الضغوط الأمريكية، وظهر جليًا أنَّه لأول مرَّة منذ عام 1990م، تشهد المنطقة تحوُّلات مهمَّة بدون مشاركة من الولايات المتحدة [1].

3. السياسة النفطية المستقلَّة لدول الخليج:

كان الاعتقاد بأنَّ عنصر الطاقة لم يعُد مهمًّا في إستراتيجية واشنطن تجاه الشرق الأوسط، لا سيّما في ظل الطفرة التي شهدها النفط الصخري، والرغبة في التحوُّل العالمي نحو الغاز المُسال ومصادر الطاقة المتجدِّدة، لكن أثبتت الحرب الروسية على أوكرانيا، أنَّ نفط الشرق الأوسط ودول الخليج تحديدًا مهم، في إطار احتفاظ واشنطن بمكنتها الدولية، لكن كان لتخارج واشنطن من المنطقة أثرًا سلبيًا على نفوذها فيما يتعلَّق بمجال النفط، إذ في ظل تراجُع الشراكة الإستراتيجية مع دول الخليج، فإنَّها بحثت عن مسار خاص بها على صعيد الاقتصاد وتنويع المصادر والعلاقات. وقد مثَّل رفض السعودية والإمارات الاستجابة للضغوط الأمريكية بزيادة إنتاج النفط للحد من ارتفاع الأسعار بعد الحرب الروسية على أوكرانيا، انزعاجًا كبيرًا لواشنطن، حيث أدركت خطأ حساباتها في هذا الملف[2].

4. تنامي نفوذ الصين:

وجدت الصين فرصةً تاريخية لأن تمدّ نفوذها إلى المنطقة، ويصبح الشرق الأوسط جزءًا من التنافس الجيوسياسي والجيواقتصادي مع واشنطن على المسرح الدولي، وأثمرت جهودها عن الوصول إلى اتفاق لتطبيع العلاقات بين إيران والسعودية، وهو الاتفاق الذي غيَّر ديناميات

---

(1) للمزيد: راجع، محمود حمدي أبو القاسم، تحوُّلات السياسة السعودية تجاه إيران.. الدوافع والسِّمات ونتائج السياسات، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، (20 أغسطس 2023)، https://2u.pw/vllqljz

(2) Sheikh Nawaf Bin Mubarak Al-Thani, America's Role in the Middle East: The View from the Gulf, (August 2023 ,10), accessed: Jan 2024 ,29, https://2u.pw/zxlyiKR

الصراع في المنطقة بصورة كبيرة، وترَكَ الولايات المتحدة أمام تحدِّي تراجُـع تأثيرها الإقليمي، وخسـارة حُلفاء مؤثِّرين في مواجهة إيران، وفقدان المكانة الاقتصادية في المنطقة لصالح الصين. ولهذا شـكّلت الـصين تحدِّيًـا للدور، الذي تلعبه الولايات المتحـدة منذ فترة طويلة، باعتبارها وسـيط القوَّة الخارجي الرئيسي في الشرق الأوسط، كما شـجَّع تراجُع الحضور الأمريكي على ظهور جهات فاعلة سـعت إلى مـلء الفراغ الأمني، كتركيا التي وسَّـعت من عملياتها العسـكرية في سـوريا والعراق وطـال نفوذها لبنان، كما وصل حضورها العسـكري منطقة الخليج، وتدخَّلت روسـيا في الصراع في سـوريا ونجحت في تغيير موازين القُوى لصالحها في مواجهة واشنطن، علاوةً على ذلك، أضافـت الجهـات الفاعلة غيـر الحكومية، مثل حـزب الله في لبنان والمتمرِّدين الحوثيين في اليمن والقوّات الكردية في سوريا، المزيد من التعقيد إلى المشهد الجيوسياسي[1].

لتفادي التحوُّلات الجارية في الشرق الأوسط، والدفع بترتيبات جديدة لاحتواء التهديدات واسـتعادة التأثير، **تبنَّت إدارة بايدن إستراتيجية جديدة**، واشـتملت هذه الإسـتراتيجية على خمسـة مبادئ[2]: **المبدأ الأول الشـراكات**؛ وفقـا لهذا المبدأ سـتدعم الولايـات المتحدة وتعزِّز الشراكات مع الدول الإقليمية، التي تشترك في النظام الدولي القائم علـى القواعـد، مع التأكُّد مـن أنَّ تلك الدول قـادرة على الدفاع عن نفسها ضدّ التهديدات الأجنبية. **والثاني الردع**؛ أي لن تسمح الولايات المتحـدة للقُـوى الأجنبيـة أو الإقليميـة بتعريض حرِّيـة الملاحة عبر الممرّات المائية في الشرق الأوسط للخطر، بما في ذلك مضيق هرمز وباب المندب، ولن تتسامح مع الجهود، التي تبذلها أيّ دولة للسيطرة

(1) Mark Leonard, The Post-American Middle East, European Council on Foreign Relations, (19 June 2023), accessed: Jan 2024 ,29, https://2u.pw/AurACuj

(2) Washington, white house, National Security Strategy, (OCTOBER 2022), accessed: Jan ,29 2024, https://2u.pw/IHimgJG

علـى دولة أخرى أو على المنطقة، من خلال التعزيزات العسـكرية أو التوغُّلات أو الهجمات والتهديدات. **والثالث الدبلوماسية**؛ بمعنى أنَّ الولايـات المتحدة لا تهـدُف فقط إلى ردْع التهديـدات، التي يتعرَّض لها الاسـتقرار الإقليمي، بل ستعمل على تقليل التوتُّرات حيثما أمكن ذلك، ووقف التصعيد، وإنهاء الصراعات حيثما أمكن ذلك، من خلال الدبلوماسية. **أمّا المبدأ الرابع فهو التكامل**؛ أي العمل على بناء روابط سياسية واقتصادية وأمنية بين شُركاء الولايات المتحدة، حيثما أمكن ذلك، مع احترام سيادة كل دولة واختياراتها المستقلَّة. **وأخيرًا الخامس وهـو القيـم**؛ بالتأكيـد على تعزيـز حقوق الإنسـان والقِيَم المنصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة.

مـن خلال هذه المبادئ التوجيهية، والتي يعزِّز بعضها البعض، حاولت الولايات المتحدة أن تحتوي التحوُّلات الجارية في الشـرق الأوسـط، وقد نجحت بعض تحرُّكاتها على النحو الآتي:

أ. إعـادة ضبْـط العلاقـة مع الحلفاء: وعَـدَ بايدن الزعماء العرب في قمَّة عُقدت في المملكة العربية السعودية، بأنَّ إدارته ستُعيد بناء الثقة و«تحقيق نتائج حقيقية، وأنَّها سـتعمل في سياق الشرق الأوسط كما هو اليوم؛ منطقة أكثر اتحادًا ممّا كانت عليه منذ سـنوات». وبالفعل ركَّـزت الولايات المتحـدة جهودها على بناء وتمكين بنية دفاعية جوِّية وبحريـة متكاملـة في المنطقة، من خلال شـراكات مبتكـرة وتقنيات جديدة، إضافةً إلى دعْم اتصالات البنية التحتية عبر العراق والخليج والأردن، ودعْـم اتفاقيـات التجـارة الحُرّة الجديدة فـي جميع أنحاء المنطقة، وفتح المجال الجوِّي، بما في ذلك أمام الطائرات الإسرائيلية، التي تحلِّـق فوق المملكة العربية السـعودية. وبالفعل نجحت الولايات المتحدة أن تُحدِث بعض الاختراقات، لا سـيّما مع حلفائها القُدامى، كالمغـرب ومصـر ودول الخليـج، وذلـك عبـر المنـاورات والتدريبات

المشـتركة، والزيارات الرسمية، ناهيك عن المحادثات والتنسيق خلف الكواليس.

ب. الرهـان علـى توسـيع اتفاقيـات إبراهـام لإعـادة رسـم التوازنـات الإقليميـة: كان ملـف التطبيـع واتفاقيـات إبراهـام رافعـةً مهمَّـة للإسـتراتيجية الأمريكيـة في المنطقة، لما ينطـوي عليه من رهانات، كان الظن أنَّها سـتعيد تشـكيل الشرق الأوسـط من منظور أمريكي، حيث اسـتبدلت واشـنطن جهود صُنع السلام باتفاقات أبراهام، ولم يكُن للفلسطينيين أيّ دور على الإطلاق. وافترضت إدارة بايدن، على وجـه الخصوص، أنَّها إذا شـجَّعت التعاون الإقليمي، فإنَّ السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين يمكن أن يتأجَّل، وفي المقابل، استخدمت الحكومـة الإسـرائيلية الاتفاقـات لتقول إنَّـه لم يعُد مـن الضروري التوصُّل إلى تسـوية مع الفلسـطينيين، حيث يمكنهـم إبرام اتفاقيات منفصلـة مـع الدول العربية فـي المنطقة.[1] وكانـت المفاوضات قبيل انـدلاع «طوفان الأقصى» تجري مع السـعودية حتـى تنضم إلى هذه الاتفاقيـات، لكن ما كان يعطِّلها شـروط الرياض، التي كان من بينها تسـوية عادلة للقضية الفلسطينية، وهذه المفاوضات لو نجحت كانت سـتُعَدُّ مكسبًا أمريكيًا هائلاً لاسـتعادة تأثيرها الإقليمي بعد سنوات من التراجع، باعتبار مكانة المملكة ودورها.

ج. دمْـج الحلفـاء الإقليميـين فـي مشـروعات دوليـة داعمـة للهيمنـة الأمريكية: دشَّنت الولايات المتحدة في هذا الإطار ما يُعَرف بتحالف I2U2 بين الهنـد وإسـرائيل والإمـارات والولايات المتحـدة، ومنتدى النقـب، وتعمل هذه المنتديات على معالجة التحدِّيات المُلحَّة، بدءًا من الأمـن الغذائي إلى تغيُّر المناخ إلى هيكل الأمن الإقليمي. كما أطلقت واشـنطن طريقًا تجاريًا جديدًا يربط الهند بالشرق الأوسط وأوروبا

(1) Marwan Muasher, The Greater Goal in Gaza For Lasting Peace, Israel Must End Its Occupation of Palestinian Land, (January 2024 ,15), accessed: Jan 2024 ,29, https://2u.pw/IYuEtzA

عبر السِكَك الحديدية والموانئ، وقال البيت الأبيض إنَّ المشروع سيكون إيذانًا ببَدء «عصر جديد من الاتصال»، سيشكل تحدِّيًا مباشرًا لمبادرة الحزام والطريق الصينية. ومن الواضح أنَّ هذه المشروعات تستهدف دمْج عدد من الحُلفاء في الشرق الأوسط مع حُلفاء من منطقة جنوب شرق آسيا وآخرين في الغرب، في جهود احتواء صعود الصين.[1] لقد خطَّطت الولايات المتحدة من خلال تعزيز تحالفاتها الإقليمية، إلى إعادة رسْم وهندسة التنافس الإقليمي، وعرقلة التفاهمات الإقليمية، التي كانت تحدّ من نفوذ الولايات المتحدة على الصعيد الإقليمي، بما في ذلك نفوذ الصين المتنامي، والانفتاح الإيراني على دول المنطقة، وعزْل الولايات المتحدة عن قضايا المنطقة، بالتوازي مع ذلك ركَّزت الولايات المتحدة جهودها على احتواء تهديدات إيران ووكلائها الإقليميين.

د. دعْم الاستقرار وتحقيق الردع الإقليمي: عزَّزت واشنطن من جهودها من أجل تأمين الاستقرار الإقليمي، وإتاحة المجال لنقل واشنطن أُصولها إلى مناطق الصراع الجديدة في أوروبا وفي جنوب شرق آسيا. لقد دفعت واشنطن نحو تعزيز العلاقات بين تركيا والإمارات العربية المتحدة، وتركيا وإسرائيل، وقطر والبحرين والإمارات العربية المتحدة وقطر، كما عملت على جسْر الخصومات، التي استقطبت منطقة الشرق الأوسط لسنوات عديدة من خلال الدبلوماسية والمصالح المتداخِلة. وفي هذا الإطار، توسَّطت في رسْم الحدود البحرية بين لبنان وإسرائيل، وتمسَّكت بمسار الدبلوماسية مع إيران لتسوية الخلافات بشأن البرنامج النووي، وبحثت إمكانية إعادة إحياء اتفاق 2015م، والتي تضمَّنت في إطارها اتفاقًا بشأن تبادُل السجناء، وبدت واشنطن من خلال هذا النشاط الدبلوماسي

(1) Nadeen Ebrahim, New US-backed India-Middle East trade route to challenge China's ambitions, CNN, accessed: Jan 2024 ,29, https://2u.pw/fHDohlF

حريصـةً على دعْم الأمن والاسـتقرار الإقليمي[1]، وبالتوازي مع ذلك سعت واشنطن إلى بناء هيكل أمني إقليمي تشرف عليه، ويتم فيه دمْج إسـرائيل، بحيث تتحمَّل دول المنطقة عبء تحقيق الأمن والاستقرار، ومواجهة المخاطر والتحدِّيات، وكان هذا الهيكل بالأسـاس يسـتهدف إيران، وهو ما سيحقِّق عدَّة مكاسب لواشنطن.

ثانيًا: الاستجابة الأمريكية للتطوُّرات بعد «طوفان الأقصى»

لقد أظهرت الولايات المتحدة استجابةً واسعة لعملية طوفان الأقصى، ويمكـن أن نُشـير إلى حدود هذه الاسـتجابة، وما انطـوت عليه من أهداف ودوافع على النحو الآتي:

1. ضمان أمن إسرائيل والقضاء على المقاومة الفلسطينية:

نظرت الولايات المتحدة إلى هجوم حماس في السابع من أكتوبر، على أنَّـه تهديد وجودي لحليفتها الإسـتراتيجية إسـرائيل، وبينما تعهَّدت إسرائيل بسحق حماس، وشنَّت بناءً على ذلك حربًا واسعة على قطاع غـزة، فإنَّ واشـنطن وفَّرت لإسـرائيل الدعم العسـكري والسياسـي والاقتصـادي لتحقيق هذا الهدف. فعَقِبَ «طوفـان الأقصى»، أجرى الرئيس الأمريكي جو بايدن اتصالاً هاتفيًا برئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، مؤكِّدًا أنَّ الولايات المتحدة الأمريكية تقِف إلى جانب إسرائيل، وتدعم بشكل كامل حقّ تل أبيب في الدفاع عن نفسها، كما سـارع الرئيـس الأمريكي إلى زيارة إسـرائيل لإظهـار وقوفه وإدارته إلى جانب إسـرائيل في حربها على غزة، وشارك في اجتماع مجلس الحرب الإسرائيلي.

بالإضافـة إلى ذلك، تبنَّى بايدن وعناصر إدارته الرواية الإسـرائيلية فيمـا يتعلَّـق بهجوم 7 أكتوبر، الذي شـنَّته حماس، بما في ذلك اتّهام

(1) Atlantic Council, Brett McGurk sets out the 'Biden doctrine' for the Middle East, February ,15 2023, accessed: Jan 2024 ,29, https://2u.pw/CEjlUMs

حمـاس بقطع رؤوس الأطفال واغتصاب النسـاء، وهـي ادعاءات لم يثبت صحتها، وذلك في محاولة لحشـد الدعـم والرأي العام العالمي لصالح إسـرائيل فـي حربها على قطاع غزة. كما بـرَّرت إدارة بايدن الهجمات الإسـرائيلية واسـتهداف المدنيين، عبر اتّهام عناصر حركة حمـاس بالتخفّـي بين المدنـيين الفلسـطينيين، واسـتخدام الأطفال والأبريـاء كدروع بشـرية، وزرْع أنفاق إرهابية تحـت البنايات المدنية. إضافةً إلى ذلك، عملَت واشـنطن على توفير غطاء حماية يحول بين إسرائيل وبين تحمُّلَ أيّ لوم أو مسؤولية دولية، بما في ذلك الحيلولة دون تمريـر أيّ قـرار في مجلس الأمن يُدين إسـرائيل، أو يدعو إلى وقْف الحرب.

وعلاوةً علـى ذلـك، التزمـت الولايـات المتحـدة بتأمين المسـاعدات العسـكرية لإسـرائيل، وبالفعـل قامـت إدارة بايـدن بمـدّ إسـرائيل بصواريـخ القبّـة الحديديـة للدفـاع الجـوّي، والقنابـل ذات القطر الصغير، ومعدّات JDAM، التي تحوِّل القنابل غير الموجَّهة إلى أسلحة موجَّهـة بنظام تحديـد المواقع العالمـي (GPS). وتأتي عمليات تجديد الموارد إلى جانب الصفقات المتفَق عليها سـابقًا للأسـلحة المتقدِّمة، مثل الطائرات المقاتلة من طراز F-35، وطائرات الهليكوبتر من طراز CH-53 الثقيلـة، ونـاقلات التزوُّد بالوقود الجوِّي مـن طراز KC-46، كما طلبت إدارة بايدن من الكونجرس مساعدات إضافية بـ 14 مليار دولار لإسرائيل[1].

وكهدف مشـترك، تدعم واشنطن بشـدَّة استمرار إسرائيل في جهود عسكرية للقضاء حركة حماس، وتغيير الواقع في غزة ما بعد الحرب، وهُنا يقول بايدن: «ما دامت حماس متمسِّكة بأيديولوجية التدمير، فإنَّ وقْف إطلاق النار لن يصنع السلام. وبالنسبة لأعضاء حماس، فإنَّ كل

(1) Mathias hammer, What to Know About U.S. Military Support for Israel's Gaza Offensive, The time (Nov 2023 ,3), accessed: Jan 2024 ,29, https://2u.pw/SjCmdlR

وقْف لإطلاق النار يمثِّل لهم فُرصةً لإعادة بناء مخزونهم من الصواريخ، وإعادة تمركُز المقاتلين، وبدء عمليات القتل من خلال مهاجمة الأبرياء مرَّةً أخرى. إنَّ النتيجة، التي تسمح لـ«حـماس» بالسيطرة على غزة، من شـأنها أن تؤدِّي مرَّةً أخرى إلى إدامة كراهيتها، وحرمان المدنيين الفلسـطينيين من الفُرصة لبناء شـيء أفضل لأنفسهم»[1]، ليس هذا وحسـب بل تخطّط واشـنطن لمرحلة ما بعد حماس في غزة، وتبحث عن سُلطة بديلة لإدارة القطاع، وذلك بعد أن تراجعت عن مخطّطات التهجير، التي رفضتها دول المنطقة، وفي مقدِّمتها مصر والأردن.

2. حماية المصالح الأمريكية وتأكيد النفوذ العالمي:

فسَّـرت الولايـات المتحـدة الهجوم الذي شـنَّته حركة حمـاس، بأنَّه يستهدف بالأساس الإسـتراتيجية الأمريكية، ويعكس اتّجاهًا إقليميًا آخر مناهض ومعاكس لمسار السياسة الأمريكية في المنطقة؛ وبالتالي فإنَّ ردود الفعل الأمريكية قد تأسَّست على رغبة مُلحَّة لحماية المصالح الأمريكيـة في المنطقـة، واحتواء الفوضى الإقليميـة المحتملة، ورُبّما اسـتغلال الحدث لتحقيق ما عجزت عنه الدبلوماسـية والمشاركة، إذ لا تـزال الولايـات المتحدة تنظُر لذاتها على أنَّهـا القوَّة العالمية الأكثر تأثيرًا، وأنَّ نفوذها في الشـرق الأوسـط لم يعُد كما كان قبل عقد أو عقديـن، والواقع أنَّه بالمقارنة بـأيّ قوَّة أخرى، أو مجموعة قُوى، فإنَّ واشنطن الأكثر قدرةً على النهوض بالمهام العسكرية والدبلوماسية في المنطقـة، خصوصًا أنَّ الصين التي عـزَّزت نفوذها في المنطقة، تبدو مهتمَّـةً بالمبادرات الاقتصادية، ولا ترغب في لعب دور ما في الحرب أو السلام، لكن تحوُّطًا لدخول المنطقة حيِّز التنافس الجيوسياسـي، بعدمـا عزَّزت الـصين حضورها الاقتصـادي الكبير، فـإنَّ الولايات المتحدة قد تكون وجدت في التطورات فُرصةً لتثبيت نفوذها وتأكيده

(1) Joe Biden, The U.S. won't back down from the challenge of Putin and Hamas, The Washington post, November 2023 ,18, accessed: Jan 2024 ,29, https://2u.pw/hm19DyX

يُثبت تشكيل الولايات المتحدة للتحالف الدولي لحماية لبحر الأحمر، والـذي تمَّ الإعلان عنـه في ديسـمبر 2023م، وجهـةَ النظر تلك، إذ على الرغم من الهدف المُعلَن وهو التصدِّي لهجمات الحوثيين وحماية حركـة التجـارة عبر البحـر الأحمر، فـإنَّ هناك اعتقادًا بـأنَّ هناك أهدافًا غير مُعلَنة ترتبط بتعاظُم مكانة منطقة البحر الأحمر والقرن الأفريقـي في الإسـتراتيجية الأمريكية على الصعيـد الدولي، والتي قد تدفع واشـنطن إلى عسـكرة المنطقة، وذلك في إطار إستراتيجية واشنطن لإعادة الانتشار بهذه المنطقة، وتوسيع نفوذها على نحوٍ فعّال؛ وبالتالي تأمين السيطرة على مضيق باب المندب، وقطع الطريق على مبادرة الحزام والطريق الصينية، ومواجهة النفوذ المتصاعد لروسـيا وإيـران وتركيـا في هذه المنطقـة، وفي الوقت نفسـه حماية المصالح الإسـرائيلية، ولعب دور بارز في إعادة هيكلة التوازنات الإستراتيجية بشرق أفريقيا[1].

3. ردْع إيران ووكلائها والحيلولة دون اتّساع نطاق الصراع:

حشـدت الولايات المتحدة إمكانياتها؛ من أجـل ردْع فصائل المقاومة، وحرمانها من المشـاركة في الحرب إلى جانب حركة حماس وفصائل المقاومـة الفلسـطينية، وكذلك لأجـل حماية المصالـح الأمريكية في المنطقة من التهديدات والاستهدافات المتوقَّعة. في هذا الإطار، حذَّرت واشـنطن حزب اللـه في لبنان وبقية الميليشـيات في العـراق ولبنان واليمن من الانخراط في الصراع، أو شن هجمات على إسرائيل، كما حرَّكت مجموعتين من حاملات الطائرات نحو شرق البحر المتوسِّط، ونشرت 2000 جندي من مشاة البحرية قبالة الشاطئ، ووضع 2000 جندي آخرين في وضع الاستعداد، وذلك في استعراض واضح للقوَّة،

(1) Mohammad Ali Thamer, Betul Dogan-Akkas, Red Sea Hostilities: Local, Regional, and International Implications, Carnegie Endowment for International Peace, (January 2024 ,30), accessed: Feb ,1 2024, https://carnegieendowment.org/sada/91500

والتعبير عن الجدية في الوقوف إلى جانب إسرائيل، والاستعداد التام لاستخدام القوَّة، في حال هاجمت أيٌّ من هذه الفصائل إسرائيل. وقد قامت الولايات المتحدة بالفعل بتوجيه ضربات للميليشيات في العراق وسوريا واليمن، وقد كانت أبرز الهجمات تلك التي شنَّتها مع حليفتها بريطانيا ضدّ الحوثيين، وكذلك الضربات التي استهدفت 85 هدفًا في 2 فبراير 2024م، والتي تمَّ تنفيذها باستخدام قاذفات B-1، التي انطلقت من الولايات المتحدة، جزءًا ممّا يقول المسؤولون الأمريكيون إنَّها ستكون حملةً تستغرق عدَّة أيام ضدّ أهداف إقليمية مرتبطة بإيران[1]. وكانت واشنطن ترغب في تعزيز قوَّة ردعها لتجنُّب التصعيد واتّساع نطاق الحرب، مع إتاحة الفرصة لإسرائيل لشن حرب ضارية على جبهة واحدة ضدّ حركة حماس، وعدم فتح جبهات إضافية[2]. كما عملت واشنطن على تقويض قدرة إيران ومحور المقاومة على إلحاق المزيد من الضرر من خلال العقوبات المنسَّقة، وعملت الولايات المتحدة بالمشاركة مع حلفائها الغربيين على فرض مزيد من العقوبات على إيران وأذرعها في المنطقة، على خلفية التصعيد الذي تقوم به، كما فرضت جولات متعدِّدة من العقوبات لإضعاف الهيكل المالي لـ«حماس»، وقطعها عن التمويل الخارجي، ومنع الوصول إلى قنوات التمويل الجديدة، بما في ذلك عبر وسائل التواصل الاجتماعي[3].

4. التنسيق مع الحلفاء الدوليين والإقليميين:

(1) Loveday Morris, Mustafa Salim and Mohamad El Chamaa, U.S. strikes in Syria and Iraq kill dozens of militants, Washington post, (February 2024 ,3), accessed: Feb 2024 ,4, https://2u.pw/CK6UmtU

(2) Loveday Morris, Mustafa Salim and Mohamad El Chamaa, U.S. strikes in Syria and Iraq kill dozens of militants, Washington post, (February 2024 ,3), accessed: Feb 2024 ,4, https://2u.pw/CK6UmtU

(3) Joe Biden, The U.S. won't back down from the challenge of Putin and Hamas, Ibid.

علــى الصعيد الدولي، نسَّــقت الولايات المتحــدة مواقفها من الأزمة مــع حُلفائها الدوليين، وقد أظهر العديد من القادة الغربيين التزامهم بدعم إسرائيل سياسيًا وعسكريًا، وكان الظن الأمريكي أنَّه يمكنها أن توفِّر لإسرائيل الدعم على غرار ما قدَّمته لأوكرانيا، من خلال حشد دولي واســع النطــاق. ويبدو أنَّ هذا الحشــد متصل بإســتراتيجيتها الأوســع لتأمين المكانــة الدولية في مواجهة القُوى المنافســة كالصين وروســيا، وبينمــا مثَّل التصعيد فــي البحر الأحمر الاشــتباك الأكثر تأثيرًا لاتّساع نطاق الصراع، حيث مثَّلت هجمات الحوثيين بالمسيِّرات والصواريخ ضّد الســفن المتّجهة لإســرائيل، وكذلك الســفن والبوارج الأمريكية والبريطانية تحدِّيًا رئيسيًا للولايات المتحدة ولحرِّية التجارة العالمية، بالإضافة إلى كونه ورقة ضغط قد تؤثِّر على مجريات الحرب على غزة، فإنَّ واشنطن عملَت على إطلاق مبادرة متعدِّدة الجنسيات تهــدُف إلــى حماية الســفن التجارية فــي البحر الأحمــر، وذلك قبل شــن هجمات عسكرية على أهداف للحوثيين داخل الأراضي اليمنية بالمشاركة مع بريطانيا[1].

وعلى الصعيد الإقليمي، زار بلينكن وأعضاء الإدارة الأمريكية العديد مــن دول المنطقــة، وفــي هذا الإطار بذلــت الولايات المتحــدة جهودًا كبيرة لاحتواء غضب الحلفاء الإقليميين من موقف واشــنطن المنحاز إلى إســرائيل، والمتجاوز لأُسُس الشــراكة الإقليمية، وابتغت واشنطن تحقيق أربعة أهداف أساســية، هي: الحد من اتّســاع نطاق الحرب، ومناقشــة ملف المساعدات الإنســانية لغزة، في الوقت الذي يتعرَّض له الفلســطينيون للمجاعة في ظل الحصار الذي تفرضه إســرائيل، والتخفيــف من حدَّة الأزمة الإنســانية الناجمة عــن الغارات اليومية، التي ترتكبها إســرائيل، واستكشاف كيف يمكن للاتفاقات السياسية

(1) Alexandra Stark, Don't Bomb the Houthis: Careful Diplomacy Can Stop the Attacks in the Red Sea, foreign affairs, (January 2024 ,11), accessed: Jan 2024 ,29, https://2u.pw/c5clmH7

بعد توقُّف القتال أن تُطلق مفاوضات من أجل منطقة مستقرَّة وسِلْمية، وبحث التعاون في خِطَط إعمار غزة ما بعد الحرب. وبالمجمل، ترغب الولايات المتحدة في ألّا تؤثِّر حرب غزة على نهجها وخِطَطها طويلة الأمد في المنطقة، والتي كانت قيْد التنفيذ عشيةَ السابع من أكتوبر.

5. محاولات الاحتواء وتحسين الصورة:

بعد أن اتّسع نطاق الحرب الإسرائيلية على غزة، فإنَّ الأزمة الإنسانية قد تفاقمت، وارتفعت النداءات الدولية والأممية لحماية المدنيين، وبدا أنَّ الولايات المتحدة تتحمَّل مسؤوليةً أساسية عن ذلك، باعتبارها تحولُ دونَ أيّ تحرُّك دولي لوقف الحرب، بدأت إدارة بايدن في ممارسة ضغوط على إسرائيل من أجل تخفيف حدَّة الأزمة الإنسانية، وتغيير المسار الراهن، وضبْط النفس، وحماية المدنيين[1]، ويمكن الإشارة في هذا السياق أيضًا إلى دعوات واشنطن الحوثيين وغيرها من الميليشيات للتهدئة، وعزْل نفسها عن مجريات الحرب على غزة، وكذلك انخراط الولايات المتحدة في المفاوضات، التي أفضت إلى هُدَن مؤقَّتة تمَّ فيها تبادل عدد من الأسرى وإدخال بعض المساعدات الإنسانية، بالإضافة إلى دور إدارة بايدن في احتواء التصعيد ومنْع انتشار الحرب إلى جنوب لبنان، وذلك من خلال سحْب حاملة الطائرات الأمريكية «يو إس إس جيرالد فورد» من البحر الأبيض المتوسِّط إلى قاعدتها بالولايات المتحدة، وما تحمله هذه الخطوة من رسالة ضمنية إلى إسرائيل، وأخرى إلى إيران وحزب الله، بأنَّ الولايات المتحدة لا تزال لا تُفضِّل حربًا إقليمية، وذلك إلى جانب الزيارات الرسمية، التي قام بها المبعوث الأمريكي آموس

(1) Emma Ashford &Matthew Kroenig, Can the U.S. Prevent a Wider War in the Middle East?, foreign policy (Jan 2024 ,19), accessed: Jan 2024 ,29, https://2u.pw/GbOSF0g

هوكستين إلى كلّ من إسرائيل ولبنان لتطبيق قرار مجلس الأمن رقم 1701 سنة 2006م، وتشجيع المفاوضات لترسيم الحدود البرِّية[1].

ثالثًا: النتائج وعواقب السياسات

يمكن إبداء بعض الملاحظات على نمط التدخُّل الأمريكي في المنطقة بعد حرب غزة، على النحو الآتي:

الملاحظة الأولى: أنَّ الولايات المتحدة حاولت استيعاب تداعيات هذا الصراع على النفوذ الأمريكي في المنطقة، من خلال تحقيق التوازن بين عدَّة أهداف، وهي: إظهار التضامن مع إسرائيل؛ وإدارة العلاقات مع الشركاء العرب؛ واحتواء الحرب في غزة لمنع اندلاع حريق إقليمي، والحفاظ على صورة الولايات المتحدة ومكانتها دوليًا والقواعد والقِيَم التي تتبناها، وكذلك الحفاظ على شعبية بايدن قبل الانتخابات الرئاسية، لكن يبدو أنَّها كانت محاولة لتحقيق التوازن بين عدَّة أهداف متعارِضة.

الملاحظة الثانية: أنَّ منطق الهيمنة والقوَّة، لا يزال هو المنطق، الذي يوجِّه السلوك الأمريكي، ويظهر ذلك في تراجُع واشنطن عن مبادئ الدبلوماسية، والمشاركة لصالح القوَّة والانخراط العسكري.

الملاحظة الثالثة: أنَّ التطوُّرات فرضت على الولايات المتحدة تغيير بعض مواقفها، وهو ما أظهر السياسة الأمريكية وكأنَّها متذبذبة.

الملاحظة الرابعة: لا يُستبعَد أن تكون الولايات المتحدة قد وظَّفت «طوفان الأقصى»، لإعادة الانتشار العسكري، والدفع بترتيبات مهمَّة لتأمين النفوذ في غرب آسيا وحوض البحر الأحمر والشرق الأوسط

(1) مركز الإمارات للسياسات، كسْر قواعد الاشتباك في لبنان: احتمالات انزلاق حزب الله إلى حرب مفتوحة مع إسرائيل، (19 يناير 2024)، تاريخ الاطلاع: 30 يناير 2024، https://2u.pw/8tOFuZl

ككُل، وذلك في إطار تأمين مكانتها الدولية، وحصار خصومها وإحباط خِططهم الاقتصادية والسياسية.

وعلى أيّ حال، فإن «طوفان الأقصى» والتعاطي الأمريكي معها قد خلَقَ واقعًا جديدًا في المنطقة، وضمن هذا الواقع يمكن كشف أهمّ الانعكاسات على السياسة الأمريكية في المنطقة؛ وذلك على النحو الآتي:

1. عودة قضية فلسطين إلى جدول الأعمال مع أُفُق محدود للتسوية

بعدما كانت إدارة بايدن تحاول خلْق واقع إقليمي جديد، متجاوزةً قضية فلسطين، بما في ذلك حل الدوليتين، أعاد الصراع الراهن القضية الفلسطينية إلى الواجهة، وتأكَّد أنَّ اتفاقيات أبراهام لا يمكن أن تكون نواةً لتحقيق السلام، طالما تمَّ تجاهُل الحقوق الفلسطينية. وقد وصلت هذه القناعة إلى القوى الإقليمية، بما في ذلك أعضاء اتفاقيات إبراهام أنفسهم، الذين باتوا مجبرين على إدانة إسرائيل وإعادة التفكير في المسار الذي تابعوه، بعدما تبيَّن أنَّ إسرائيل تتمادى في عدوانها[1]. أمّا فيما يخُصّ السعودية، فإنَّها أكَّدت على موقفها الراسخ، بأنَّها لن تقوم بتطبيع العلاقات مع إسرائيل ولن تساعد في إعادة إعمار غزة، طالما استمرَّت إسرائيل في عرقلة الطريق نحو إقامة الدولة الفلسطينية. وقال وزير الخارجية السعودي الأمير فيصل بن فرحان: «إذا كُنّا نُعيد ضبْط الوضع الراهن قبل 7 أكتوبر، بطريقة تؤهِّلنا لجولة أخرى، كما رأينا في الماضي، فنحن لسنا مهتمِّين بهذه المحادثة»[2].

---

(1) Roula Khalaf, Biden's vast diplomatic challenge in the Middle East, The Financial Times, (Oct 20 2023), accessed: Jan 2024 ,29, https://2u.pw/ZCJAIz4

(2) Melanie Lidman &Wafaa Shurafa, Saudi Arabia won't normalize relations with Israel absent path to Palestinian state, top diplomat says, (January 2024 ,22), accessed: Jan 2024 ,29, https://2u.pw/Sdw4Uyr

وفقًـا لهـذه التطوُّرات، أدركـت إدارة بايدن أنَّه سـتكون هناك حاجة إلـى عمليـة سياسـية بعد انتهاء الحـرب في غـزة، ودار نقاش حول خطـط اليوم التالي لغزة، لكن التحدِّي هو أنَّ إدارة بايدن بحاجة إلى خَطَّة ذات مصداقية؛ محدَّدة زمنيًا، ولها نهاية واضحة، وإلاّ سـيكون ذلـك مضيعةً للوقت. وهناك تحدٍّ آخر، وهو أنَّ اليمين المهيمن على السُلطة في إسرائيل، غير مقتنع بأيّ تسوية، ويتابع مسار القوَّة كخيار وحيد، كما أنَّ المزاج الشـعبي في إسرائيل مؤيِّد لهذا النهج المتطرِّف. ومـن جهة أخرى فـإنَّ الانتخابات الأمريكية، التي باتت على الأبواب، قـد تحول دون ممارسـة الضغوط الكافية على اليـمين المهيمن على السُلطة في إسرائيل. وأخيرًا تفتقر السُلطة الفلسطينية إلى الشرعية كطرف في المفاوضات، ولا تزال المقاومة صامدةً في مواجهة الحملة الإسرائيلية، بل إنَّ العنف يتّسع نطاقُه في الضفة الغربية. وهكذا يمكن القول إنَّ القضية الفلسـطينية فرضت نفسـها على إدارة بايدن، لكن في الحقيقة كقضية مستعصية تاريخيًا على الحل، وتخضع لتوازنات القوَّة، وتنفرد الولايات المتحدة بدورها كوسيط غير نزيه وغير عادل، فليس من المأمول أن نشـهد تغييرًا على مسـار حل الدولتين، بل دورةً جديدةً من الصراع، لكنّها جولةٌ مختلفة عن غيرها.[1]

2. مواجهـة إقليميـة علـى جبهـات متعـدِّدة وعـودة إجباريـة للمهـام القتالية:

لقد فتَحَ حزب الله جبهة الشـمال مع إسرائيل؛ لتخفيف الضغط عن فصائل المقاومة الفلسـطينية[2]، وكذلك بدأت الميليشـيات المحسوبة على إيران في العراق وسـوريا شـنَّ عشـرات الهجمـات بالصواريخ والمسـيّرات على القواعـد والتمركزات والمصالـح الأمريكية بالعراق

(1) Marwan Muasher, The Greater Goal in Gaza, foreign affairs, (January 2024 ,15), accessed: Jan 2024 ,29, https://2u.pw/IYuEtzA

(2) Roula Khalaf, Biden's vast diplomatic challenge in the Middle East, Ibid.

وسـوريا، بل بـدأت في توجيـه ضرباتها نحـو الداخل الإسـرائيلي، ناهيك عن دخول الحوثيين على خط الصراع، وفتْح جبهة مع إسرائيل عبر البحر الأحمر[1]. وبحسـب التقديرات، كان هناك أكثر من 150 هجومًـا صاروخيًا وطائـرات بدون طيّار على القـوّات الأمريكية في الشـرق الأوسـط، منذ 7 أكتوبر 2023م[2]. حمَّلـت الولايات المتحدة إيرانَ المسؤوليةَ عن الهجمات، التي تتعرَّض لها مصالحها في المنطقة، حيث تُشـير معلومات الاسـتخبارات الأمريكية إلى أنَّ سفينة إيرانية مُتمركِزة في البحر الأحمر، قد مكَّنت الحوثيين من استهداف السُفُن باسـتخدام الطائرات المسـيّرة والصواريخ بدقَّة[3]، بل إن «البنتاغون» اتّهـم إيـران بالتورُّط المباشـر في الهجـوم بطائرة بـدون طيّار على ناقلـة كيماويات بالقُرب من الهنـد. وردًّا على ذلك، يميل أعضاء في الكونجرس إلى توجيه ضربة عسكرية لإيران، إذا استمرَّت الهجمات علـى القواعد الأمريكية في العراق وسـوريا، ومن اليمن[4]. كما تتّهم واشنطن إيران بالمسؤولية عن مقتل اثنين من قوّات البحرية الأمريكية فـي خليج عـدن، أثناء اعتراضهما شـحنةً مـن مكوِّنـات الصواريخ البالسـتية وصواريخ كروز الإيرانيـة، التي قال الجيش الأمريكي إنَّها كانت متّجهةً إلى اليمن، وأخيرًا تحمِّل واشـنطن إيران المسـؤولية عن الهجـوم بمسـيَّرة انتحارية على قاعدة التنف في شـرق الأردن قُرب الحدود مع العراق؛ الأمر الذي أسفر عن مقتل ثلاثة جنود أمريكيين،

---

(1) Jamie Dettmer, We are once again at war in the Middle East, politico, (Dec 2023 ,23), accessed: Jan 2024 ,29, https://2u.pw/wnHgEyB

(2) Jim Garamone, U.S. Continues Protection Mission in Middle East, Convenes Ukraine Defense Group Meeting, (Jan. 2024 ,22), accessed: Jan 2024 ,29, https://2u.pw/xJlUNz0

(3) سي إن إن عربي، سفينة حربية إيرانية تدخل إلى البحر الأحمر بعد يوم من إغراق 3 زوارق حوثية، (01 يناير 2024)، تاريخ الاطلاع: 25 يناير 2024، https://2u.pw/xNeiut4

(4) Tom Crean &Chris Gray, Conflict In Middle East Creates New Challenges For US Imperialism, Socialist alternative, (Nov 2023 ,26), accessed: Jan 2024 ,29, https://2u.pw/GmMji8R

وإصابة العشرات، وهو أعنف هجوم تعرَّضت له واشنطن في المنطقة، منذ أحداث السابع من أكتوبر.

لقد فرضت هذه التطوُّرات على الولايات المتحدة ضرورة تعزيز أُصولها العسكرية، وإعادة توجيه مواردها من جديد إلى المنطقة، لكن هذه المرَّة تخوض واشنطن المواجهة على جبهات متعدِّدة، حيث يجتمع أكثر من طرف على هدف إخراج القوّات الأمريكية من الشرق الأوسط. وهذه الجهات تقوم بعمليات مُمنهَجة تتم إدارتها بنجاح، ويتم فيها استغلال نقاط الضعف الأمريكية لشن هجمات أكثر حدَّة من أيّ وقت مضى، وفي الوقت نفسه الاستفادة من المشاعر المعادية للولايات المتحدة، ليس بين الشيعة وحسب، ولكن بين السُنَّة كذلك، حيث يتم فرْض أمر واقع جديد على واشنطن[1].

والخطورة هي أنَّ العمليات التي تقوم بها إيران والميليشيات التابعة، تعكس الارتباط العضوي المتزايد، والقُدرة الكبيرة على تهديد المصالح الأمريكية، مع تآكُل في قوَّة الردع الأمريكية[2]، وهذا الأمر قد يجُرّ الولايات المتحدة إلى تكثيف للهجمات وربّما حرب مباشرة مع إيران، على غرار حرب الناقلات في الثمانينيات من القرن الماضي، أو تصعيد غير مسبوق، كما حدث مع اغتيال قاسم سليماني في يناير 2020م، حيث تدعو أطراف أمريكية ردًّا على الهجمات، التي تعرَّضت لها نقطة المراقبة في الأردن، إلى توجيه ضربات مباشرة داخل الأراضي الإيرانية، ولا تقنعها ضربات محدودة لتمركزات تابعة للحرس الثوري أو الميليشيات التابعة لإيران[3].

---

(1) Ivo Daalder, Biden's foreign policy headache in 2024, politico, (Jan 2024 ,2), accessed: Jan ,29 2024, https://2u.pw/2xGYJCc

(2) Narges Bajoghli and Vali Nasr, How the War in Gaza Revived the Axis of Resistance, foreign affairs, (January 2024 ,17), accessed: Jan 2024 ,29, https://2u.pw/vs6xukL

(3) Jack Detsch 3 Options for How Biden Could Respond to Iran, foreign policy, (Jan 2024 ,29), accessed: Jan 2024 ,31, https://2u.pw/dYTvulD

وليس من المُستبعَد أن تجد واشنطن نفسها مضطرَّة لأن تُعيد النظر في انتشارها العسكري بالمنطقة، بما في ذلك الانسحاب الكامل من سوريا، حيث تُشير مصادر في إدارة بايدن إلى أنَّ واشنطن لم تعُد مهتمَّة بمواصلة المهمَّة، وأنَّ هناك مناقشات داخلية نشطة لتحديد كيف ومتى يمكن أن يتم الانسحاب[1]، والأمر نفسه ينطبق على العراق، لا سيّما بعد تشكيل لجنة ثنائية للترتيب والتسريع من إنهاء مهام قوّات التحالف الدولي ضدّ داعش، تحت تأثير الضغط الشعبي بعد حرب غزة[2].

3. تبايُن في وجهات النظر مع الحُلفاء الإقليميين:

كانت الولايات المتحدة بصدد ترميم علاقاتها بحلفائها الإقليميين، لكن أظهرت حرب غزة أنَّ هناك فجوةً كبيرةً في المواقف، وبدا أنَّ الولايات المتحدة لأوّل مرَّة تخوض مواجهات عسكرية دون دعْم عربي صريح وواضح، خصوصًا المواجهة مع إيران ووكلائها. وهُنا يُشار إلى إلغاء الأردن قمَّةً كان من المقرَّر أن يلتقي فيها بايدن بالرئيسين الأردني والمصري ورئيس السُلطة الفلسطينية محمود عباس[3]، ومع تطوُّر الحرب ونتيجةً لعدم استماع واشنطن لنصائح هؤلاء الحُلفاء فإنَّهم قد اتّجهوا للبحث عن بدائل، حيث توجَّهت مجموعة من وزراء الخارجية العرب في 20 نوفمبر 2023م، في جولة إلى الدول الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، وكانت محطَّتهم الأولى في بكين، وكانت هذه وسيلة للدول العربية للإشارة إلى أنَّ لديها خيارات

---

(1) Amberin Zaman, Pentagon floats plan for its Syrian Kurd allies to partner with Assad against ISIS, al-monitor, (January 2024 ,22), accessed: Jan 2024 ,31, https://2u.pw/ydsa27X

(2) الحرة، العراق يشكل لجنة ثنائية لإنهاء مهمة التحالف الدولي، (05 يناير 2024)، تاريخ الاطلاع: 31 يناير 2024، https://2u.pw/ANAhVSH

(3) Ivo Daalder, Biden's Middle East challenge, (Oct 2023 ,20), accessed: Jan 2024 ,29, politico, https://2u.pw/TcnmLYQ

بـخلاف الولايات المتحـدة[1]. وأصدرت الـدول العربية، بما في ذلك تلك المُعادية لأيديولوجية حماس، بيانات تُدين إسرائيل بشدَّة. وهكذا يبـدو أنَّ ديناميكيـات المنطقة والتصوُّرات عـن دور الولايات المتحدة تغيَّرت بشكل جذري، وبحسب مروان المعشر، وزير الخارجية الأردني الأسـبق: «لقد تمَّ تحطيم كل هذه الأسـاطير، وتجد الولايات المتحدة نفسـها فـي موقف لا تتمتَّـع فيه بالنفـوذ، الذي كانـت تتمتَّع به من قبـل»[2]. إذن، التغير الجوهري والمهم، وهو أنَّ بعض حُلفاء واشـنطن الإقليمـيين غير مسـتعدّين للانخراط معها في المهام المشـتركة التي تقودها، وذلك حفاظًا على ما تحقَّقَ من تهدئة واستقرار خلال الفترة الماضية، ورغبةً في عدم التورُّط في دعْم غير مباشر للحرب الجارية على غزة، مع ما يحمله ذلك من عواقب وتهديدات داخلية وخارجية. وهُنا يبدو أنَّ الدبلوماسية الأمريكية لا تزال تواجه صعوبات في إقناع حلفائها بسياسـاتها في المنطقة، ويبـدو أكثر من أيّ وقت مضى أنَّها لم تعُد قادرةً على طرْح مبادرة للتسوية، كما جرى خلال التسعينيات، ورُبّما الملمح الأهّم في التطوُّرات، التي أعقبت حرب غزة، هو أنَّه بدلاً من عرقلة العلاقات بين إيران السعودية، يبدو أنَّ حرب غزة أدَّت إلى تعزيز هذه العلاقات، كما أنَّ حرب غزة وحَّدت مواقف القُوى العربية الرئيسـية، فيما ظلَّ نفوذ الصين وعلاقاتها بحُلفاء الولايات المتحدة في المنطقة مسـارًا غير مرتبط بواشـنطن، وما يؤكِّد أنَّ المنطقة قد تغيَّرت دينامياتها لتؤكِّد حدود نفوذ واشنطن[3].

4. تعريض المكانة الدولية للخطر في وقت حرج:

---

(1) Mark Leonard, China's Game in Gaza, foreign affairs, (January 2024 ,8), accessed: Jan ,29 2024, https://2u.pw/O2iysrL

(2) Marwan Muasher, The Greater Goal in Gaza, foreign affairs, Ibid.

(3) Dalia Dassa Kaye and Sanam Vakil, Only the Middle East Can Fix the Middle East, foreign affairs (February 2024 ,1(, accessed: Feb 2024 ,4, https://2u.pw/AKOzRGb

يبــدو أنَّ الولايــات المتحدة لم تعُد هي نفســها تلك القــوَّة المؤثِّرة في الشرق الأوسط قبل عقدين من الزمن، ويبدو هذا واضحًا من تعثُّرها دبلوماسيًا وعسكريًا، في مواجهة مجموعات مسلَّحة من غير الدول، تخــوض حروبًــا غير متماثلة في جبهات عدَّة، مســتخدمةً تكنولوجيا عســكرية جديدة، بعضها خارج السيطرة وقادرة على الإيذاء، والأهمّ دون دعْــم إقليمــي على غرار ما تمَّ في الســابق فــي مواجهة تنظيم داعــش، أو خلال حــرب تحرير الكويت فــي 1990م، أو الحرب على العراق في 2003م. ولا شكَّ أنَّ هذا سيكون له تداعياته على المواجهة التي تخوضها واشنطن مع روسيا في أوكرانيا، ومع الصين في تايوان، فالولايــات المتحدة قد تجد مــن الصعوبة خوْض حروب في آنٍ واحد على جبهات متعدِّدة ومتباعدة[1]، وفي وقت تبدو غير قادرة على حشد الحُلفــاء، على غرار ما حدث ضدّ روســيا بعــد حربها على أوكرانيا؛ فحُلفاء الولايات المتحدة في شــرق وجنوب آســيا لديهم وجهات نظر متباينة حول الصراع في فلســطين المحتلَّة، بل هذه التباينات موجودة داخل المعسكر الغربي نفسه.

كذلــك، فــإنَّ مجريــات الصــراع في الشــرق الأوســط ومــا تواجهُه الولايــات من تحدِّيات مضافًا إلى فشــل الهجــوم الأوكراني المضاد، قد يشــجِّع مزيدًا مــن القُوى الدولية على التمرُّد، وقد يكون انتشــار العنــف والصراعات على هذا النحو مقدِّمةً إلى حروب أوســع نطاقًا غير قابلة للســيطرة، على غرار مــا حدث قبل الحرب العالمية الأولى والثانيــة، ولا يفــوت التنويه إلى أنَّ خصــوم الولايات المتحدة كالصين وروســيا، يستفيدون من الموقف الأمريكي في هذا الصراع. ففي حين أنَّ الولايات المتحدة تشوِّه سمعتها لدى دول الجنوب العالمي من خلال دعمها غير المشروط على ما يبدو لإسرائيل، فقد قامت بكين بمعايرة

(1) Kathryn Levantovscaia, Overstretched and undersupplied: Can the US afford its global security blanket?, (January 2024 ,5), accessed: Jan 2024 ,29, https://2u.pw/HCsB9k5

استجابتها للحرب بعناية، مع إيلاء اهتمام وثيق للرأي العام في العالم النامي، وقد كسبت مقابل ذلك دبلوماسيًا عندما كانت مقصدًا لوزراء الخارجية العرب، وكسبت شعبيًا عندما أظهرت استطلاعات الرأي أنَّ الشعوب العربية الآن تفضِّل الصين على الولايات المتحدة. وإذا اتّخذ شي جين بينج، في مرحلة ما في المستقبل، القرار المصيري بغزو تايوان، فمن المؤكَّد أنَّه يأمل أن يكون موقفه من حرب غزة سببًا في زيادة احتمالات اصطفاف الجنوب العالمي خلف بكين بدلاً من واشنطن[1]. إنَّ هذا الواقع يشرح بعضًا ممّا تواجهُه الولايات المتحدة من تحدِّيات بعد عملية طوفان الأقصى، لكن قراءة الصورة كاملة تؤكِّد ما قاله بايدن: «تواجه الولايات المتحدة اليوم واحدة من تلك اللحظات النادرة، والتي لا تقِلّ أهمِّية عن فجر الحرب الباردة، أو فترة ما بعد 11 سبتمبر»[2].

5. عسكرة الممرّات البحرية والتأثير المُحتمَل على نمو التجارة العالمي

لقد قاد الموقف الأمريكي غير المتوازن من الحرب على غزة، إلى اتّساع نطاق الصراع إلى منطقة البحر الأحمر، ونظرًا لأنَّ البحر الأحمر ساحة تنافُس دولي كبير نظرًا لوجود 11 قاعدة عسكرية متاخمة لمدخله من جهة الجنوب، تخُصّ القُوى الكبرى المتنافسة تتبع العديد من الدول المتنافسة إقليميًا ودوليًا، فإنَّ نشْر الولايات المتحدة لمزيد من القوّات وتشكيل تحالُف واسع من حلفائها، بالإضافة إلى عمليات مشتركة مع بريطانيا، قد يحرِّك التنافس الدولي إلى المنطقة، ويؤثِّر على أمنها واستقرارها.

بالإضافة إلى ذلك، فإنَّ التهديدات، التي واجهتها الولايات المتحدة بسبب الهجمات البحرية التي شنها الحوثيون على السفن المتجهة

(1) Mark Leonard, China's Game in Gaza, Ibid.

(2) William J. Burns, Spycraft and Statecraft: Transforming the CIA for an Age of Competition, (January 2024 ,30), ccessed: Jan 2024 ,31, https://2u.pw/YTvxwRf

لإسرائيل والسُـفُن الأمريكية وكذلك والهجمات على القطع البحرية الأمريكيــة فــي البحر الأحمر وخليج عدن، أثَّرت على حركة السُـفُن عبر مضيق باب المندب، واضطرَّت الشركات إلى تغيير وجهة قوافلها نحو طريق رأس الرجاء الصالح، وهو ما زاد من تكلفة الشــحن. وإذا ما اســتمرَّ هذا الوضع، فسوف تتأثَّر سلاسل الإمداد، ورُبّما يتراجع نمــو التجارة العالمي. ولا شــكَّ أنَّ الاســتمرار في تبنِّــي نهْج القوَّة قد يدفــع الأمــور نحو مزيد من التدهور، فقد تنتقــل الأزمة إلى ممرّات بحرية أخرى ذات أهمِّية، فإيران قد ســبق وهدَّدت بغلق مضيق جبل طــارق، كما أنَّ لديها إمكانية التأثيــر على حركة التجارة عبر مضيق هرمــز، والذي يُمرّ عبره خُمس إنتــاج النفط العالمي. ويتوقَّع المحلِّلون أن يؤدِّي تصعيد الحرب على نطاق أوســع على هذا المنوال، إلى رفْع أســعار النفــط إلــى 150 دولارًا للبرميل. وهذا من شــأنه أن يضمن حــدوث انكمــاش اقتصادي عالمي جديد، مع مــا يترتَّب على ذلك من عواقب سياسية في مختلف أنحاء العالم[1].

6. العُزلة وفقدان المصداقية:

رُبّمــا لأول مرة منذ عقــود طويلة، تحتلّ القضية الفلســطينية مكانةً بــارزةً دوليًا، وهو ما يســهم في عزْل الولايات المتحدة؛ بســبب الدور الفريــد الــذي تلعبه في دعْم إســرائيل عســكريًا، حيث إنَّهــا متَّهمة بالمسؤولية غير المباشرة عن إلحاق إسرائيل أضرارًا مدمِّرة بالمدنيين وانتهاكات للقانون الإنســاني الدولي؛ فالاعتقاد السائد بأنَّ الولايات المتحدة جزء من هذه الحملة العسكرية، ويؤكِّد ذلك ما قالته المتحدِّثة باسم «البنتاغون» سابرينا سينغ، في 30 أكتوبر 2023م: «إنَّ الولايات المتحدة لا تضع أيّ قيود على كيفية استخدام إسرائيل للأسلحة، التي

(1) Mohammad Ali Thamer, Betul Dogan-Akkas, Red Sea Hostilities, Ibid.

تقدِّمها الولايات المتحدة في حربها ضدّ حماس»[1]، وفقًا لذلك، فقد أضــرَّت الولايــات المتحدة بأهليتها للدفاع عن نظــام دولي قائم على القواعد، وقد ظهر ذلك جليًا في القرار الأولي للمحكمة، الذي دحض ادّعــاء إدارة بايدن بأنَّ القضية «لا أســاس لها مــن الصحة»، إذ ثبُت مــن قرار المحكمة الجنائية الدولية أنَّ الولايات المتحدة غير متّسِــقة مــع ذاتهــا؛ لأنَّها متَّهمة بدعم إبادة جماعيــة مُحتمَلة في غزة. وبَينما أخفقت الولايات المتحدة بإقناع إســرائيل بتعديل نهجها، فإنَّ مشاهد الصــراع، التــي نجحت حمــاس والمتعاطـفين معها فــي ترويجها من خلال وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، أثَّرت على صورة الولايات المتحدة دوليًا وداخليًا. والملفت في هذه المعركة عن ســابقتها تعاطُف الأجيال الجديدة داخل الولايات المتحدة وعلى الصعيد العالمي مع مأساة الفلسطينيين، إذ أظهرت استطلاعات الرأي تراجُع شعبية بايدن في الداخل، واســتغلَّ خصومه موقفــه لقلب الرأي العام عليه، وقد تعرَّض بنفسه لهجوم وانتقادات خلال جولاته الانتخابية، وهو ما يُشــير إلى التأثير واســع النطاق للحرب على الولايات المتحدة داخليًا وخارجيًا[2].

7. تحفيـز التنظيمـات المتطرِّفـة علـى شـن هجمـات علـى الولايـات المتحدة وحلفائها:

لا شكَّ أنَّ الحرب الإسرائيلية على غزة وموقف الولايات المتحدة منها، منحت فُرصةً كبيرة للجماعات المتطرِّفة لتعزيز حضورها، إذ إنَّ هذه الجماعات قد وظَّفت الحرب لإعادة تنظيم صفوفها والترويج لخطابها المتشدِّد، بل لشحن مقاتليها من أجل شن مزيد من الهجمات، ناهيك

---

(1) Mathias hammer, What to Know About U.S. Military Support for Israel's Gaza Offensive, Ibid.

(2) Leslie Vinjamuri, President Biden's Middle East visit reveals the challenges for US diplomacy – and the cost of American withdrawal from the region, Chatham house (18 Oct 2023), accessed: Jan 2024 ,29, https://2u.pw/5d9OQYY

عن تجنيد مقاتلين جُدُد. لقد ظهر ذلك بوضوح في البيانات المتتالية، التـي أعلنتها أفرع هـذه التنظيمات بمختلف المناطـق، والتي أعلنت فيها مواقفها من الأحداث وطريقة التعاطي معها، والتي كان من بينها مـا قـام به تنظيم داعش تحت عنوان الحملـة العالمية «اقتلوهم أينما وجدتموهم». ولقد شهِدَت بعض المناطق بالفعل مردودًا لهذا التأثير، إذ أعلن «داعش» مسؤوليته عن تنفيذ 35 هجومًا في سبع محافظات سـورية، خلال الأيام العشـرة الأولى من عام 2024م، من أصل 100 هجـوم فـي جميع أنحـاء العالم. وعلـى الرغم مـن أنَّ تنظيم الدولة الإسلاميـة لا يـزال بعيدًا عمّا كان عليه فـي عامي 2013 و2014م، لكـن مكمن الخطر أنَّ الحرب في غزة والأزمـة الإقليمية المتصاعدة تخلق فُرَصًا للجماعة الإرهابية لاستغلال الوضع لمصلحتها الخاصَّة، وإذ ما ربطنا ذلك باحتمال انسـحاب الولايات المتحدة من سـوريا أو العراق تحت وطأة الضغوط، فإنَّ المنطقة قد تعود للمربَّع، الذي كانت عليه في عام 2014م، عندما أعلن التنظيم دولتَهُ المزعومة على بعض أراضي سـوريا والعراق[1]، ورُبّما تعود هجمات «الذئاب المنفردة» في الـدول الغربية المتحالفة مع إسـرائيل والولايات المتحدة. وقد التفتت بعـض الـدول الغربية لهـذه المخاطر، فرفعت مـن إجراءاتها لمواجهة هجمات مُحتمَلة، وذلك استجابةً لتوصيات المؤتمر الذي نظَّمه مكتب التحقيقات الفيدرالي في كاليفورنيا في 17 أكتوبر 2023م، وشـارك فيه قادة مخابرات أستراليا وكندا ونيوزيلندا والمملكة المتحدة والولايات المتحـدة، حيث أصدروا تحذيرًا مشـترَكا حول الارتفـاع المُحتمَل في الهجمات المحلِّية في أعقاب الأحداث بغزة[2].

---

(1) تقى النجار، "طوفان الأقصى".. بين "القاعدة" و"داعش"، المركز المصري للفكر والدراسات الإستراتيجية، (21 أكتوبر 2023)، تاريخ الاطلاع: 31 يناير 2024، https://ecss.com.eg/37405/

(2) Sherine Fahmy, The Gaza War and the Danger of Extremism, Carnegie Endowment for International Peace, (January 2024 ,25), accessed: Feb 2024 ,1, milafaty.com/#wyo2t2ny?

خلاصة

تُعتبَر عملية طوفان الأقصى زلزالاً إستراتيجيًا وجيوسياسيًا ضرَبَ الشرق الأوسط، وقد وجدت الولايات المتحدة نفسها بعدهُ أمام تطوُّرات دراماتيكية لا تصُبّ بالضرورة في صالحها، بل خلقت العملية واقعًا معقَّدًا ومتشابكًا بصورة غير مسبوقة، إذ عكست «طوفان الأقصى» مسار الاستقرار الإقليمي، الذي كان مهمًّا لتركيز الجهود الأمريكية على احتواء الصين، كما وضعت التطوُّرات واشنطن في مواجهة واسعة النطاق مع إيران بدلاً عن احتوائها. وتخوض الولايات المتحدة هذه المواجهة دون حلف إقليمي متماسك، كما كان في السابق، ولا حتى حلف دولي على غرار التحالف المنعقد ضدّ روسيا في حربها ضد أوكرانيا، إضافةً إلى ذلك فإنَّ العملية عطَّلت مسار أبراهام، ناهيك عن تدهور سمعة واشنطن في المنطقة.

وعلى الصعيد الدولي، وتوفير فُرصة لخصومها الصين وروسيا في إطار المنافسة الدولية، بمعنى أدقّ، عطلَّت «طوفان الأقصى» الإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط، وفرضت عليها تحدِّيات متزايدة على الصعيد الدولي، وإن كانت الولايات المتحدة تظن أنَّها من خلال هذه الحرب يمكن أن تعود للشرق الأوسط وتستعيد نفوذها، دون الوضع بالاعتبار أهمِّية تسوية القضية الفلسطينية، ودون التعامل مع حلفائها الإقليميين كشُركاء حقيقيين يجدُر الاستماع لهم، فإنَّها عودة من الطريق الخطأ وتكرار لأخطاء الماضي، ورُبمّا تكون عواقب ذلك دفْع تكلفة أكبر من أيّ وقتٍ مضى، فقط للحفاظ على ما بقِيَ من نفوذها ومصالحها.

info@rasanahiiis.com
@rasanahiiis
www.rasanah-iiis.org